الشرطة

الجرائم اسبابها وعلاجها

الفقر عامل من عوامل الاجرام ، الوراثة والاجرام

ما هي أسباب الاجرام ؟ سؤال بحثه كثير من الكتاب ، وكتب لاجله كثير من الكتب القيمة : كلها تدل أنه توجد فئة تظهر كلها عادية في كل شيء ولكنها لا تحتمل ولا تصبر على تجارب الحياة ومتاعبها . فئة عندما ترى أبواب الرزق موصدة أمامها . وطريق النجاح ضيقا عسراً تطمع أن تتجه الى طريق واسع — طريق الاثم والشر والاجرام يظنون أنه عند ما لا تتحقق آمالهم عن طريق الشرف والامانة تتحقق عن طريق الاجرام !!

وقد اخذ البشر يفرقون الناس عن بعضهم فيقولون مجرم وغير مجرم . ويطلقون كلمة مجرم على اولئك الذين يقضون شطرا من حياتهم في السجون . يدخلون ثم يشفق عليهم ويخرجون . ثم يعودون الى الاجرام فيدخلونها ثانية وهكذا سجن وفك وضيق وفرج . يظن الكثير من الناس انها فئة لا عرض لها الا ان تتسلل الى غرف كل منا في دجى الظلام الحالك ليقضوا مآربهم وليرعبوا الكبير والصغير بإخراجهم البشعة وبرصاص بنادقهم ومسدساتهم . نعم اننا نوافقهم انه توجد فئة من المجرمين كما يتصورونهم غرضهم السلب والنهب والقتل عند الحاجة .

هذه هي فئة المجرمين الحقيقيين الذين احترفوا الاجرام ولكن ليس كل المجرمين

على هذا الشكل والا لما دافعنا عنهم ادني مدافعة ولا طالبنا ونطالب الهيئة الاجتماعية ان تراف بهم وتسعى لصالحهم فانه توجد فئة غيرانها تسرق ولكن تحت تأثير الضيق المالى الشديد فلا يمكنهم التغلب على التجارب الشديدة التي تقف في سبيلهم . ولو كان كل فرد يرتكب اثما يعاقب عليه ويضبط ويحاكم لامتلأت الارض بالمذنبين !! « من منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر » !!

هذه هي الفئة التي تنحدر نحو الاجرام خطوة خطوة حتى لا يمكنها أن تتغلب على تيار الامواج الجارف . فتحملها المياه في طريقها هي الفئة التي تريد الهيئة الاجتماعية ان تسندها وتعضدها قبل أن تنحدر الى هاوية الاجرام السحيقة وبالطبع رجال البوليس لا يمكنهم أن يغيروا الحالة الاقتصادية في البلد التي تؤدي في أكثر الاحيان الى فقر فئة كبيرة من ابناء الامة . والفقر يؤدي الى الاجرام . فمشكلة الفقر مشكلة اجتماعية خطيرة تحتاج للحل قبل غيرها ، من المشاكل الهامة مشكلة الفقر مشكلة تعب في بحثها وحلها الكتاب في كل العصور ولم يمكنهم أن يحلوها لليوم — فقد ذهبت مساعيهم ادراج الرياح . لا يمكننا أن نطالب رجال البوليس أن يبارعوا ويحاربوا مشاكلنا الاجتماعية الاقتصادية التي يئن منها المجموع ولكن من واجبهم ان يعتبروا الفقر سببا من اسباب الاجرام ويبحثوه مع الاسباب التي عرفوها واختبروها في حياتهم العملية

لقد كان شتاء سنة ١٩١٥ — ١٦ قاسياً جداً في أمريكا فلم يتمكن مئات بل الالوف أن يجدوا عملا يرتزقون منه رغم استعدادهم التام للعمل وميلهم الشديد لذلك ورغم مقدرتهم على الارتزاق لولم تكن هذه الازمة الخطيرة . وذلك نظراً للعسر المالي والحالة الاقتصادية الشاذة لا لذنب فيهم وكانت أبواب الرزق موصدة والمستقبل مظلماً حالكا . فماذا كانوا يفعلون ؟ ألوف أمناء يحترمون أنفسهم ولا يريدون أن يكونوا من طبقة العاطلين أو المجرمين ، لا يمكننا أن نفرقهم عن غيرهم اصبحوا في

حالة تعسة لا يمكنهم ان يجاروا الاتجاه طريقين الموت او الاجرام : لقد اصبحت مسؤوليه الهيئة الاجتماعية خطيرة في ذلك الحين . ولولا مساعدتهم لساءت الحالة فان واجبا ان نتبع اولئك الذين يساقون الى الاجرام سوقا عند ما يرون حياتهم المعتمة لا تحتمل وقد قام رجال البوليس بعملهم خير قيام في تلك الازمة وقدموا اكبر مساعدة يمكن تقديمها لهؤلاء المنكوبين . فان واجب رجال البوليس يشمل حماية الهيئة الاجتماعية من عبث العابثين وتخليص المجرمين الذين على ابواب الاجرام والوقوف في سبيلهم قبل ارتكابهم الجرائم .

ان البوليس يجب ان يكون « صديقاً » للناس . فانه منهم ويخدمهم ويسعى لصالحهم فيجب تعضيده ومعاونته في مهمته الشاقة . ان واجب البوليس اذا رأى رجلا في حالة تدعو الى الشك في امره ان يرشده في الحال الى من يسد احتياجاته الضرورية بسرعة كأن يرسله الى مكتب من مكاتب الخير والاحسان او لرجال الدين حتى يشعروا بأمره ويرشدوه الى عمل يرتزق منه بدل ان يجر جرا الى المهالك . وعندما يرشده البوليس الى ذلك يجب ان يراقبه ليرى هل تحسنت حالته وهل يمكنه ان يعول نفسه بنفسه بعد ذلك فاذا رأى ان حالته لم تتحسن بعد يجرب طريقة اخرى للخير من الاولى . لقد قام رجال البوليس في شتاء سنة ١٩١٥ في اميركا بتخليص مئات عديدة بهذه الطريقة وقد كانوا يقرضونهم الاموال ويطالبونهم بإعادتها عند ما تتحسن حالتهم المالية وجمعوا من المئات مقادير كبيرة صرفوها على هؤلاء التعساء الذين ما كانوا يوماً ما مالة على غيرهم . وبذلك نجوا الكثيرين من التدهور والافلاس والاجرام . وقد اوجد رجال البوليس كثيراً من الاعمال لمن لا عمل لهم .

اما الذكرى الله وقف اماي سجين كان ميكانيكيا حاذقا متزوجا وله ولدان صغيران . وقد استغنى عنه عدة شهور فان الشركة استغنت عن نصف عمالها وحاول بكل ما فيه من قوة ان يوجد لنفسه عملا في اي مكان آخر فلم يجد .

فصرف ما ادخره « للايام السوداء » واصبح لا يملك شيئا ثم اقترض ما يمكنه اقتراضه من اصحابه . ولكن للاقتراض حد فلم يمكنه ان يقترض شيئا بعد ذلك باي طريقة كانت . بحث عن شيء يبيعه فلم يجد .

وكانت الليلة شديدة البرد في الشتاء واحتاجوا الى التدفئة باشعال النار فلم يجدوا شيئا ولم يجدوا لقمة يأكلونها جميعا ورهنوا كل ملابسهم وامتعتهم فرأى الرجل ان طرق الشرف اصبحت موصدة في وجهه كلها وان لا منفذ يمكنه ان ينفذ منه . خطر بباله فكرة ان يكسر النافذة و يسرق لبسرق فانه اعتقد تمام الاعتقاد انه (يجب) عليه ان يعمل ذلك . لان له عائلة مسؤولا هو عنها وتصور انه لا توجد طريقة للنجاة الا السرقة ولكنه ضبط ودفق امامي وقص علي كل ذلك بطريقة مؤثرة وفي نهاية قوله سألني :

وماذا كان يمكني ان افعل غير ذلك ؟ لم يمكنني ان افعل كله واحدة . ولكني قلت . لا يمكني الاجابة كما لا يمكنك . وفي الحال ارسلت وفودا الى داره لتدفئة الام المسكينة واولادها الصغار بالنار وارسلت ملابسا وطعاما للعائلة وولديها الصغيرين لطعمها ويكسوهما . واخذته الى داري وقدمت له طعاما ليأكل ويشبع وبحثت له عن عمل ليعمله فهل تظنون اني افعلته ؟ وهل تظنون اني اذا كنت فعلت كنت أكسب شيئا او عائلته كانت تكسب . او الهيئة الاجتماعية كانت تربح شيئا . اما كنت اخرج العالم مجرما جديدا باغا على نظام الحياة ومعاديها واضطر الامة الى اجراء الغير والدعارة والارتزاق الدنيء ؟ لو امكننا ان نعامل كل مجرم بهذه المعاملة لامكننا ان نشعر ان الهيئة الاجتماعية تأتي بهم وتود معاقبتهم والاخذ بيدهم وانشائهم فتراهم يسعون الى ايجادها لهم عملا شريفا تراهم لا يقعون على الهيئة الاجتماعية و يريدون درس انظمتها وقوانينها . وعندما وقفت في الصباح امام القاضي اخبرته عن الحالة التي اوصلت هذا المجرم الى فعلته

المنكرة وذكرت له تفاصيل الواقعة وقلت ان البوليس مستعد ان يوجد له عملا يرتزق منه فهنأني القاضي بمساعي رجال البوليس الاذكياء وتعضيدهم لهؤلاء المنكوبين التعساء وشكروني لأني احسنت التصرف في المسألة وبذلك خلصت رجلاً من الاجرام . فانه لن يعود ثانية الى ما فعل تحت تأثيرات خاصة قوية . وضممت رجلا الى زوجته واولاده ليتحمل مسؤولية العائلة من جديد ويشعر عن ساعد الجد ثانية . ان البوليس لا يمكنه ان يحل مسألة الفقر ولكن بعض رجال البوليس لا يعرفون ان هناك مشكلة قائمة يجب حلها !! ولكن كل ما ينتظر منهم انهم يخلصون اولئك الذين يمكن تخليصهم قبل التمادي في الاجرام ليجعلوهم قادرين ان يكيفوا حياتهم بالوسط الذي يعيشون فيه .

الوراثة والاجرام — اعتقد لمبروزو — وكان الناس يعتقدون انه ثقة — ان البعض «ولدوا» مجرمين . لكن بعد الابحاث التي قام بها المتضامون في القانون الجنائي والباحثون الاجتماعيون والعلماء استدلوا على ان بعض الاطفال يولدون أضعف من غيرهم عقليا وقد يكون النقص كبيرا بدرجة يستحيل على الولد الصغير ان يسير في رحلته في الحياة ويجزم عواصفها وزوابعها وتجاربها القاسية والشديدة .

فان أمثال هؤلاء يسقطون اذا قابلتهم التجارب ويذعنون ضحيتها لان قوة المقاومة ضعيفة . ولا يمكنهم ان يحافظوا على القوانين ويطيعونها كما يطيعها أغلبية الناس وأغلب هذه الفئة تصبح في عداد المجرمين بل تكون أغلبية طبقة المجرمين بالقابل كثيرا أشخاصا عاديين قليلا عما يحيطون في عدادهم واخلاقهم عن أغلبيتنا فلا نهتم بالامر ولا يخطر ببال أحدنا ان يفكر ان مثل هذا الذي نخاطبه قد يصبح مجرما . ويحق لنا ذلك لعدم تحقق لنا الا نجمع بين النقص العقلي والاجرام اذا كان النقص بسيطا .

ولكن الغالب ان امثال هؤلاء يكونون ضعاف الارادة فيميلون نحو اشباع غرائزهم الحيوانية التي تتسلط عليهم كل الاستيلاء وتسودهم جل السيادة .

ويمكننا أن نقول أن الناقص القوي العقلية من وقف نموه عقله في دور طفوليته « فبلغ » جسمه ولكن عقله ملازال عقل الاطفال ، ويقاس هؤلاء بمعرفة العمر الذي وقف فيه عقل الواحد منهم عن النمو . وكنا نعتقد ان الطفل غير مسؤول ويجب مراقبته وملاحظته والاعتناء به ومعاملته بأقصى ما يمكن من الشفقة والصبر . حتى يكبر ويتعلم أمر نفسه ولا يخطر ببال أحدنا ان يترك طفلا ليهتم بنفسه !! بل لا نعذب اذا وجدنا الطفل يفعل ما اعتاد ان يفعله الاطفال وانما نقول ان ذلك من مميزات الاطفال من خصائصهم الطبيعية .

بل نعذب منها الغضب كله اذا فعلها احد البالغين . ولكن الناقص القوي العقلية «طفل» مع لا تعامله كالاطفال أنه طفل غير مسؤول . لا يفهم معنى الصدق ولا واجب الفرع بالصدق كما انه لا يفهم الواجب نحو الغير ولا يجب ضبط النفس ولم الغرائز الحيوانية والتسيطر عليها . ولكن تقف امامنا وجهة نظر اخرى . فان الطفل قواه العقلية الصغيرة تتناسب مع قواه البدنية ولكن المعتوه بلغ في قواه البدنية ناقص في قواه العقلية والتناسب مفقود .

نرى ان هذه النقطة خطيرة اذ كيف يحكم عقل الطفل جسم البالغ ؟ فما يفعله الطفل ولا نعده « اجراما » اذا فعله ذلك البالغ الناقص القوي العقلية نقول عنه انه « اجرام » ان هؤلاء المعتوهين « الاغبياء » في اجسامهم الضخمة في حقولهم غالبا يكونون بارعين في فن الاجرام ولكن لا يمكن بهيئة اجتماعية أن تعتبرهم مسؤولين بحال من الاحوال كما انها لا تعتبر الاطفال مسؤولين . ولكن أعظم خطر يلحقنا هو من أولئك القريبين العاديين فان الجنون او الخلل الذي العقلية اختلالا كبيرا يمكن تمييزه عن غيره بسهولة ويحالج ، ولكن القريب من عاديي القوى العقلية لا يمكننا ملاحظة نقصه العقلي بسهولة ومن حظ العالم ان بينا العدد الوافر من الناقصي القوى العقلية في اوساط تهتم بهم غاية من الوثوق به ان اعانية كبرى من الناس ضعاف في قواهم

العقلية بعض الضعف ولكنهم يوجدون في اوساط تعلمهم وتربيهم وتهتم بصالحهم فلا تراهم يعرضون الى تجارب قاسية والتي لا يظهر نقص عقولهم ولا يلاحظه احد . اما اولئك الذين لسوء حظهم يوجدون في اوساط فقيرة ولا يتربون التربية الواجبة ويعرضون لتجارب الحياة القاسية فانهم لا يقوون على تحمل اعباء الحياة وتجاربها فتنصر عليهم التجربة ويكونون فيفقدونهم من المجرمين

وقف امام مأمور وليس نيو يورك رجل ضخم ثلاث مرات وسمين ثلاث مرات فرأى القاضي ان يفحص تاريخ حالته خصوصاً وقرر الاطباء ان والده كان سكيرا ومصابا بالسل وان عبء العائلة ومسؤولياتها كان واقعاً على اكتاف زوجته ولذلك لم تستطع ان تهتم بابنها الاهتمام الواجب فاصبح مجرما : وانه كان في صغره لا يهتم بالدرس مطلقاً وعندما ترك المدرسة والتحق بعمل من الاعمال الصغيرة لم يمكنه ان يصبر ويبقى في عمله زمناً طويلا فاخذ ينتقل من عمل الى آخر دون ادنى سبب معقول وعندما تزوج لم يظهر لزوجه الحب كما يظهر الزوج العادي . ولم يشعر انه مسؤول عنها وعن اولادها كما يشعر الزوج الحقيقي وبقي وقتاً طويلا لا يعولهم ولا يهتم بأمر معاشهم . وفي كل مرة يرجع ساخطاً على العمل وينظر الى الحياة كأنها شاقة وهموم عديدة فيستريح يوم الاحد ولكنه لا يشتغل يوم الاثنين كما يجب ، وكان يفر من الدار كثيراً الى السكر ولعب الورق وبينما كان الطبيب يفحصه كان يستهزيء به ساخطاً وقرر كل الاطباء الذين فحصوه انه ناقص القوى العقلية فامثال هؤلاء لا تفيدهم القوانين وتطبيقها عليهم وسجنهم فانهم بعد خروجهم من السجن يعودون ثانية الى الاجرام ! فما الفائدة ؟

ويقدر متوسط عدد الذين يقبض عليهم « يوميا » في نيويورك من المصابين بنقص عقلي ٢٥ شخصاً وكثير منهم ما كانوا ليقترفوا اية جريمة ولا نقص قوام العقلية . فامامنا الآن مشكلة ثانية وهي كيف نعامل هؤلاء المعتوهين وما في

الطرق الفعالة لتقليل نسلهم وعدم تزاوجهم وزيادة عددهم فانه لا يكفي ان نعاقبهم بل ان عقابهم لا يفيدنا في شيء ما . وعقاب هؤلاء لا يحسن حالتهم ولا يحتم ان يفعلوا افضل مما فعلوا بل التنبيهة المنتظرة من العقاب انهم يصرفون بقية حياتهم في الاجرام .

وكما ان من الواضح ان سجن ناقص القوى العقلية امر مشين غير مفيد كذلك ليس من المعقول ان نتركهم يمرحون و يسرحون لئلا الهيئة الاجتماعية من شرورهم وافعالهم اذن من الواجب ان يضموا الى بعضهم في بناء واحد لغرتاح الهيئة الاجتماعية وتطمئن فيدلنا ان نرسل الواحد منهم الى السجن نرسله الى اشبه بمستشفى يبقى به حتى يشفى ان كان ينتظر ان يشفى . لانه قد اثبت بافعاله انه خطر على الجماعة التي يعيش معها والدليل على ذلك انه ارتكب جريمة او جرائم

والدليل على ذلك ايضا انه قد يفحص فحصا دقيقا فيقرر الاطباء ان قواه العقلية غير عادية لذلك . وان كنا لا نقدر ان نقول انه مسئول عن جريمته التي ارتكبها الا انه لا يمكننا ايضاً ان ننكر حقيقتة واعتباره عادياً يعيش مع العاديين فليس لمجرم معتوه ان يسرح وسط الابرياء ليخيفهم ويرعبهم ويسمرفهم ويميتهم كما انه اذا كان ينتظر منه الشفاء فلا نشفيه ؟ ان الهيئة الاجتماعية لا تريد العقاب بقصد العقاب ولكنها تطلب فقط ان تجمع امثال هؤلاء المجانين في مكان حيث لا يمكنهم ان يؤذوا غيرهم وعلى امل انهم يخرجون من السجون وهم افضل مما دخلوا ولكن الحقيقة خلاف ذلك فان معظم من يخرجون يكونون احط اخلاقا من وقت دخولهم ولقد كان عمل الهيئة الاجتماعية ووجهة نظرها في مشكلة المجرمين انها لا تسعى الا لحماية نفسها وعلى ذلك فهي تعامل المجرم بافضل طريقة تضمن بها سلامتها من عبثه والذي نطلبه منها اليوم ان تهتم بهذه الفئة الناقصة القوى العقلية فتجمعهم في مكان واحد وتسعى لشفائهم واعادتهم الى الحياة الطبيعية التي يتمتع بها العاديون

فاذا كان العلاج لا يجدي نفعاً في مثل هذه الامراض العقلية فالواجب ان يجعلهم يقضون بقية حياتهم في امثال هذه الدور ، وبذلك نجعلهم في امان ولا نقاسي الامرين من عبثهم وشرورهم ولكن مما يؤسف له كثيراً ان هؤلاء يزدادون سنة عن اخرى بل ويسمح لهم ان يتزوجوا ويلدوا لنا نسلاً ضعيفاً في القوى العقلية فيزداد عدد المعتوهين بدل ان يقل وتركهم وسط المجرمين في حين ان الواجب يقضي ان يهتم بهم الاطباء ويعالجونهم المعالجة الطبية الواجبة وقد جربنا هذه الطريقة — السجن — فوجدناها عقيمة تدل على منتهى القساوة . ولا تقلل من اجرامهم او تضعف عددهم . فاصبح من المحتم علينا ان نحصر عدد هذه الفئة ولا نجعلهم يتناسلون حتى يقل عددهم شيئاً فشيئاً ونستريح الهيئة الاجتماعية شرهم

كامل صدقي مفتش عام — بمصر

***

منشأ القوة المعنوية

تبعث هذه القوة في نفوس اصحابها ، عن عقيدة راسخة ، تحملهم على الايمان بانهم على حق من امرهم . او عن قوة قاهرة ، يعتقد ذووها انها بالغة بهم الى ما يريدون او عن مفاداة صحيحة ، يقدم عليها الناس اقداماً ثابتاً لا تردد معه .

وهذه القوة المعنية ، كانت العامل الاكبر في استيلاء الغرب على الشرق . وبهذه القوة ايضاً ، يستطيع الشرق ان يفلت يوماً من نير الغرب .

الموجز في علم الاجتماع